اي اطمانوا اليه وخشعوا اليه اذ الاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع
وطمانينة القلب ويتعدي بالي وباللام فاذا قلت خبت فلان الي كذا فمعناه
اطمان اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اشارة الي اعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله
تعالى وان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الاخرة الا بحصول اعمال القلب
وهي الخشوع والخضوع اولئك اي الذين هذه صفتهم فاخبر تعالى عن حالهم
في الاخرة بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال ولما ذكر سبحانه
وتعالى احوال الكفار وما كانوا عليه من العمي عن طريق الحق ومن الصمم عن
سماعه وذكر احوال المومنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد
للطاعة ذكر فيهما مثالا مطابقا بقوله تعالى مثل اي صفة الفريقين
اي الكفار والمومنين الفريقين هذا مثل الكافر شبه بالاعمي لتعاميه عن
ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتابيه عن تدبر معانيه
كالاعمى والاصم هذا مثل المومن شبه بالسميع والبصير لان امره بالضد
من الكافر فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او يشبه الكافر
بالجامع بين العمي والصمم والمومن بالجامع بين ضديهما على ان تكون الواو في الاصم
وفي الصفة تعطف الصفة على الصفة بخلافه على التشبيه الاول فانه لعطف
الموصوف على الموصوف ويعبر عنه بعطف الذات على الذات هل يستويان اي
هل يستوي الفريقان مثلا اي تشبيها لا يستويان ويصح ان يكون مثلا صفة
لمصدر محذوف اي استوا مثلا وان يكون حالا من فاعل يستويان وقوله تعالى
افلا تذكرون فيه ادغام التا في الاصل اي تتعظون بضرب الامثال والتامل
فيها وقرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وقد جرت
عادة الله تعالى بانه اذا اورد على الكفار انواع الدلايل اتبعها بالقصص ليصير
ذكرها موكدا لتلك الدلايل وفي هذه السورة ذكر انواع من القصص
القصة الاولي قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا
الي قومه انى لكم وقوله اني لكم قراه ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الهمزة
اي باني والباقون بكسرها على ارادة القول نذير مبين اي بين النذارة
اخوف بالعقاب لمن خالف الله تعالى وقوله ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او
مفعول مبين اني اخاف عليكم اي ان عبدتم غيره عذاب يوم اليم اي مولم
موجع في الدنيا او الاخرة قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة
ولبث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وقيل وهو ابن مايتين وخمسين
سنة ومكث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين
وخمسين سنة فكان عمره الف سنة واربعماية وخمسين سنة ولما حكي
تعالى عن نوح عليه السلام انه دعا قومه الي عبادة الله تعالى حكى عنهم انهم

طمنوا

طمنوا في نبوته بثلاثة انواع من الشبهات بقوله تعالى فقال الملا الذين كفروا من قومه وهم
الاشراف ما نراك الا بشرا مثلنا هذه الشبهة الاولي اي انك بشر مثلنا لا مزية
لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا
بهذه الشبهة جهلا منهم لان الله تعالي اذا اصطفى عبدا من عباده واكرمه بنبوته
ورسالته وجب على من ارسله اليهم اتباعه الشبهة الثانية ما ذكره الله تعالي
عنهم بقوله تعالى وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اي اسافلنا كالحاكة واهل
الصنايع الخسيسة وهو جمع ارذل بفتح الهمزة كقوله تعالى اكابر مجرميها وقوله
صلى الله عليه وسلم احاسنكم اخلاقا او جمع ارذل بضم الذال جمع رذل بسكونها
فهو على الاول جمع مفرد وعلى الثاني جمع جمع ثم قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الاكابر
من الناس والاشراف منهم وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة بالدين
واتباع الرسول لا بالمناصب العالية والمال بادي الراي اي اتبعوك في اول الراي
من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك ونصب على الظرف اي وقت حدوث
اول رايهم وقرا ابو عمرو بادي بهمزة مفتوحة بعد الدال والباقون بيا مفتوحة وابدل
السوسي همزة الرا الفا وقفا ووصلا واما حمزة فابدلها وقفا لا وصلا الشبهة
الثالثة ما ذكره الله تعالي عنهم في قوله تعالي وما نرى لكم اي لك ولمن تبعك
علينا من فضل اي بالمال والشرف والجاه ويستحقون به الاتباع منا وهذا
ايضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله تعالى بالايمان والطاعة لا
بالشرف والرياسة وقولهم بل نظنكم كاذبين خطاب لنوح عليه السلام
في دعوي الرسالة وادرجوا قومه معه في الخطاب وقيل خاطبوه بلفظ الجمع
على سبيل التعظيم وقيل كذبوه في دعوي النبوة وكذبوا قومه في دعوى العلم
بصدقه فغلب المخاطب على الغايبين ولما ذكروا هذه الشبهة لنوح عليه السلام
قال لهم يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة اي نبوة ورسالة من ربي
واتاني رحمة اي نبوة ورسالة من عنده من فضله واحسانه فعميت اي
خفيت والتبست عليكم ووحد الضمير اما لان البينة في نفسها هي الرحمة
واما انه لكل واحد منهما وقرا حفص وحمزة والكسائي بضم العين وتشديد
الميم والباقون بفتح العين وتخفيف الميم انلزمكموها اي انكرهكم على قبولها
وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها لا نقدر على ذلك قال
قتادة والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لا يملك ذلك واتفق
القرا على ضم الميم من انلزمكموها لاتصالها بالام رسما وحيث اجتمع ضميران
وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الوصل كما في الاية
والفصل كان يقال انلزمكم اياها ويا قوم لا اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة
وهو وان لم يذكر معلوم مما ذكر مالا اي جعلا تعطونيه ان اي ما اجري الا على الله
اي ما ثواب تبليغي الا عليه فانه الماموال منه وقرا ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي

جميع عمل الجوارح وقوله تعالى واخبتوا اشارة الى اعمال

هذا مثل الكافر شبه بالاعمى والاصم لتعاميه عن ايات الله وتصامه عن استماع كلام الله وعن تدبر معانيه ... السميع

وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل